الرحلات العلمية للدكتور السيد رضوان علي الندوي

Educational Trips of Dr. Sayyid Rizwan Ali Nadwi

عثمان فاروق

باحث بمرحلة الدكتوراه بقسم اللغة العربية وآدابها

جامعة العلامة إقبال المفتوحة إسلام آباد

Email: usmanfarooq710@gmail.com

Abstract

The journey for seeking knowledge is considered one of the most important landmarks of the Islamic world because it provides great opportunities for learning. Journeys continued on different foundations and principles, and for many reasons, including trade, searching for markets, Hajj, and also to meet scholars. As a result of the educational exchange and intellectual and cultural communication that led them to acquire a huge academic heritage, books multiplied, great academic production was witnessed, and many scholars appeared who contributed to educational progress and cultural synthesis. Through this article, I aim to highlight the impact of the journeys for the sake of knowledge on the formation of the personality of Dr. Sayyid Rizwan Ali Nadwi and its impact on his contributions in the field of Arabic literature. He graduated from the Nadwat al-Ulama'Lucknow (India), then from the University of Damascus (Syria), and obtained his doctorate from Cambridge University in London. He practiced in the field of teaching at the Imam Muhammad bin Saud Islamic University in Riyadh and the University of Karachi as a professor of Arabic literature. He set out to travel to distant countries, despite the many obstacles and difficulties, such as; Saudi Arabia, Egypt, Syria, France and Great Britain in his passion for learning and set a bright example for the next generation.

Keywords: Dr. Sayyid Rizwan Ali Nadwi, Educational Trips, Egypt, Damascus, Paris, Great Britain, Arabic language and literature

المقدمة:

الحمد لله الذي جعل العلم النافع طريقاً موصلاً لرضاه ، وصراطاً يتبعه من أراد هداه، ويحيد عنه من ضل واتبع هواه ، ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدىً من الله، وأشهد أن لا إله إلا الله رفع شأن العلم وأهله حتى وصلوا من المجد منتهاه، ومن العز أعلى ذراه فمن سلك طريقاً يبتغي فيه علماً ؛ سهل الله له

به طريقاً إلى جنته وعلاه ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الرحمة المهداة، والنعمة المسداة ، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الهداة التقاة ، ومن سار على نهجه إلى يوم لقاه.

أما بعد: كان من توفيق الله تعالى وفضله وتيسيره على هذه الأمة ، أن سخر لها العلماء لخدمة هذا الدين الحنيف ، والذب عن سنة المصطفى صلى الله عليه وسلم ، وحرصهم على العلم النافع ، رحلوا وجابوا البلاد والعباد ، وقطعوا المسافات بحثاً عن العلم ، ولم يجعلوا الدنيا مقصداً لهم ، ولا مبتغاً لشهواتهم الدنيوية ، بل علموا أن محاسن ولذات الدنيا مجموعة في تلك المشاهد والمناظر التي رأوها في رحلاتهم، فلم يتخلف من علم هذه اللذة عن هذه الرحلات. فإن الرحلة في طلب العلم سمة العلماء، وطريق النجباء، والإنسان مهما بلغ من سيادة أو مكانة؛ لا يمنعه ذلك من طلب العلم، واحتمال المشاق في سبيل تحصيله؛ لأن تنقيح العلوم، وتصحيح المفاهيم غالبًا ما يكون عن طريق تلاقح العقول، وهذا لا يتأتى إلا بالرحلة إلى العلماء ومظان العلوم. ولا شك أنّ الرحلة في طلب العلم من الأمور العظيمة التي هي من أسباب تحصيل العلم، وهذه الرحلة حكمها يختلف بحسب حال الشخص والعلم الذي يريد أن يتعلمه، فإن كان علم فرضٍ لا يمكن تحصيله إلا بالرحلة، وجب عليه أن يرحل ويأثم لو لم يرحل، فطلب العلم فريضة على كل مسلم، وقد أوجب الله الخروج لتحصيل العلم الواجب تحصيله، وقد تكون الرحلة مستحبة إذا كانت للزيادة من علم ليس بفرض تحصيله، وقد تكون مكروهة إذا كان يمكن أن يكون في بلده يحصل العلم فإذا رحل تألم أهله وأولاده للفراق، وقد تكون الرحلة محرمة إذا كان فيها تضييع للأولاد والأهل مع عدم وجود ما يوجب عليه الذهاب أو إذا قصد بالرحلة حب الظهور والشهرة، وأن يقال عنه: رحل للقاء فلان أو فلان، ويعدد المشايخ والبلدان ونحو ذلك.

الرحلة في اللغة والاصطلاح:

الرحلة لغة:

الرحلة في اللغة " الترحيل والارتحال " بمعنى " الأشخاص والإذعاج " يقال : رحل الرجل إذا سار[1]. فالرحلة هنا بمعنى السير والضرب في الأرض " والارتحال " بمعنى الإنتقال من مكان إلى مكان آخر، ويقول العرب رحل البعير يرحله رحلاً فهو مرحول ورحيل وارتحله، جعل عليه الرحل، قال الأعشى:

رحلت سمية غدوة أجمالها غضى عليك فما تقول بدها [2]

وقيل ناقة رحيلة أى شديدة قوية على السير وجرى المنطق[3]. وقيل: " ارتحل القوم عن المكان ارتحالاً " قال رحلت من أقصى بلاد الرحلة[4]. وقال أيضاً ويرحل الثيب عن دار يحل بها[5]. ووردت هذه

الكلمة بمعنى الجهة التي يقصدها الإنسان للرحلة والارتحال والرحلة بالضم الوجه الذي تأخذ فيه وتريده، تقول[6] أنتم رحلتي أى الذين ارتحل إليهم. كما تطلق كلمة الرحلة أيضاً على " السفرة الواحدة "[7] ومنه أخذ لفظ ‘‘الرحيل " والرحيل إسم ارتحال القوم المسير : قال[8] : أما الرحيل فدون بعد غد ومنها أخذ لفظ رخال وهو الشخص المنتقل من مكان إلى آخر، فالرحال صفة مشتقة من الفعل الذي قام به وهو الرحلة . والشخص الذي قام بالرحلة وانتقل من موطنه إلى آخر متجهاً إلى جهة غير موطنه وسار إليها.

الرحلة اصطلاحا:

عرفت الرحلة بأنها : الانتقال من بلد إلى آخر ، من أجل الوصول إلى هدف ما ، وهذا ما أكده ياقوت الحموي "حيث ذهب إلى أن اعتبار الحركة دليل من دلائل الحياة ، والسكون من دلائل الموت ، ففي الحركة بركة كما يقال ، فالحياة كلها عبارة عن رحلة أو عملية حركة وتغيير.[9]

فالرحلة فن من الفنون الأدبية حظي بالشهرة وكتب فيه أدباء الأمم وعلماؤها في التاريخ القديم والحديث تصانيف كثيرة نالت القبول من لدن القراء و متذوقي الأدب ومحبي الوصف وذاعت بينهم لما تصوّره من أحوال التحالين وأحوال البلدان التي زاروها ، فأعجبوا بمشاهد الطبيعة من سهول و وهاد وصحاري ، ومظاهر عمران مختلفة ، كما وصفوا الناس وتقاليدهم.[10]

فهي" الرحلة "سلوك إنساني حضاري يأتي ثماره النافعة على الفرد وعلى الجماعة فليس الشخص بعد الرحلة هو نفسه قبلها، وليست الجماعة بعد الرحلة هي ما كانت عليه قبلها.[11] فهي ذلك اللون من التأليف الذي يجمع بين الدافع الوجداني العميق ، والتأمل الدقيق في رصد المشاهدات والظواهر بأناة ودقة.[12]

وأخلاق ولتسجيل دقيق للمناظر الطبيعية التي شاهدها أو يسرد مراحل رحلته وما توقفت عليه عين الرحالة من جماد وغيره.[13]

فهي من الآثار الأدبية وانطباعات المؤلف عن رحلاته في بلاد مختلفة، وقد يتعرض فيها لوصف ما يراه من عادات وسلوك ومنه تخلص أنه لا يوجد تعريف حاسم للمرحلة ، وإنما هي مجموعة من التعاريف المتعددة والمختلفة ، وهو أمر يرجع إلى كون القواميس العربية لم تخصص لهذا المفهوم حيزا في صفحاتها ، ولم تعتبره مفهوما ينهض إلى جانب المفاهيم الأخرى الدارجة في حقل الأدب والمعرفة عموما.[14]

تاريخ الرحلة:

جبل الإنسان على الأسفار بحثا عن الرزق أو طلبا للعلم بشتى فروعه ، أو للترويح عن النفس ، وكان ذلك دأب الإنسان منذ أن خلقه الله تعالى على وجه الأرض . قال الله تعالى : "هو الذي جعل لكم الأرض ذلولا فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه."[15]

فالرحلة قديمة قدم زمان الإنسان ذاته إذ عرفها منذ العصور الغابرة حتى وقتنا هذا ، وإن اختلفت دوافع الرحيل وأسبابه ، وتباينت وسائل السفر.[16] فالإنسان ولد رحالا ، وإن أعجزته الرحلة تخيل رحلات غير محسوسة في عالم الخيال.[17]

والحقيقة أن الرحلات لدى الإنسان قديمة جدا ، بل إن الكائنات الحية تشاطره، كما أن أدب الرحلات قديم ، وكان تداوله يتم شفاها في البداية ، ثم ظهر كتابيا في الكتب الدينية ، مثل رحلة النبي نوح في السفينة التي أنقذت البشرية من الطوفان ، والملاحم الأولى مثل ملحمة جلجامش التي تتحدث عن سفر البطلين جلجامش وأنكيدو إلى لبنان.[18]

لاشك فيه أن المكتبة العربية والإسلامية غنية بكتب الرحلات ، وقد امتاز العرب والمسلمون بالشغف بالأسفار النائية والمغامرات الخطيرة ، ونبغ فيهم من نبغ من الرحالين والمغامرين أمثال ابن جبير الأندلسي (المتوفى سنة 614 هـ) وابن بطوطة المغربي (المتوفى سنة 777 هـ) ، وقد حفظ لنا هذان الرحالان الشيء الكثير من صور العالم الإسلامي الذي زاراه ، والمجتمع الإسلامي الذي عاصراه وشاهداه في كتابيهما المشهورين في الآفاق رحلة ابن جبير ، ورحلة ابن بطوطة) ، ولكن ندرت الكتب في الرحلات التي سجلت فيها الخواطر والآراء والانطباعات ، فقد مضى على تلك الرحلات والمشاهدات زمن طويل.

أهمية الرحلة في طلب العلم وفضائلها :

والرحلة أمرها قديم ، وقد ذكر القرآن الكريم رحلة سيدنا موسى النبي عليه الصلاة والسلام إلى خضر عليه السلام ليتعلم منه علما أعطاه الله إياه، ولقي في ذلك السفر نصبا وتعبا وعنتا، ورأى من عجائب أمر الله ما رأى ، ولم يستنكف أن يذهب إلى حيث يجد ما ليس عنده من العلم ليتعلمه. وأتاه متعلما متأدبا بأدب الطالب أمام شيخه.

وكذلك فإن الله سبحانه وتعالى أخبرنا عن صفيه وكليمه الذي كتب له التوراة بيده أنه رحل إلى رجلٍ عالمٍ (خضرعليه السلام) يتعلم منه، ويزداد علماً منه، وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ لا أَبْرَحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُباً كل ذلك حرصاً منه على لقاء هذا العالم، وعلى التعلم منه؛ فلما لقي موسى الخضر سلك معه مسلك المتعلم مع معلمه، وقال له بكل أدب: هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْداً ، أولاً: بدأه بالسلام، ثم بعد ذلك بالاستئذان على متابعته، وأنه لا يتبعه إلا بإذنه، وقال: عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِي مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْداً وقال: أنا جئت لأتعلم ولم آت لأناقش وأجادل، وأظهر ما عندي، ولا جئت أمتحنك وإنما جئت أستزيد علماً، وكفى بهذا فضلاً وشرفاً للعلم، فهذا نبي الله سافر ورحل لتحصيل ثلاث مسائل من رجلٍ عالم، لما سمع أن هناك من هو أعلم منه ما هدأ له بال حتى ذهب، ولم يقر له قرار حتى

سافر لمتابعة التعليم. وهذا في حال الأنبياء رضوان الله تعالى عليهم. أما من بعدهم فالصحابة قد ضربوا المثل أيضاً في طلب العلم ؛ امتثالاً لأمره تعالى لما قال : فَلَوْلا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ ولذلك جاء أنه كان ينطلق من كل حيٍ من العرب عصابة فيأتون النبي صلى الله عليه وسلم فيسألونه ويتفقهون في أمر دينهم ويقولون: ماذا تأمرنا أن نفعل؟ وماذا تأمرنا في عشائرنا ؟ ويبعثهم النبي صلى الله عليه وسلم إلى قومهم ليقوموا فيهم بأمر الله سبحانه وتعالى.

يقول الإمام الشافعي في أهمية الرحلة:

تغرب عن الأوطان في طلب العلا وسافر ففي الأسفار خمس فوائد
تفرج هم واكتساب معيشة وعلم وآداب وصحبة ماجد [19]

ويقول أيضا :

ما في المقام لذي عقل وذي أدب مِنْ رَاحَةٍ فَدَعِ الأَوْطَانَ وَاغْتَرِبِ
سافر تجد عوضاً عمن تفارقه وَانْصِبْ فَإِنَّ لَذِيذَ الْعَيْشِ فِي النَّصَبِ
إني رأيت وقوف الماء يفسده إِنَّ سَاحَ طَابَ وَإِنْ لَمْ يَجْرِ ثُمَّ يَطِبِ
والأسد لولا فراق الأرض ما افترست والسهم لولا فراق القوس لم يصب
والشمس لو وقفت في الفلك دائمة لَمَلَّهَا النَّاسُ مِنْ عُجْمٍ وَمِنْ عَرَبِ
والتبر كالتُرَبَ مُلْقَى فِي أَمَاكِنِهِ والعود في أرضه نوع من الحطب
فإن تغرب هذا عز مطلبه وَإِنْ تَغَرَّبَ ذَاكَ عَزَّ كَالذَّهَبِ [20]

فالرحلة في طلب العلم ظاهرة قديمة نشأت بنشأة الحضارات الكبرى التي تفاعلت سلما وحربا، وتبادلت فيما بينها عوامل التأثير والتأثر، فكل حضارة لاحقة تأخذ من أصول وروافد حضارة سابقة. لكن السفر من أجل العلم له طعم آخر، فهو سفر يحمل هدفاً نبيلاً من أجل اكتساب المزيد من المعرفة، والوصول إلى ما يتمناه طالب العلم. وكان العلماء قديماً ء وخاصة علماءنا المسلمين ء يسافرون لفترات طويلة، يقطعون فيها الصحارى والجبال والوديان، طلباً للعلم والمعرفة من العلماء الأكثر علماً، وكانوا يتتلمذون على علماء وشيوخ من دول متباعدة ومدن متعددة ، وما يكاد طالب العلم يستقر به المقام عند شيخ أو عالم حتى يشد الرحال إلى شيخ أو عالم آخر؛ وذلك لأن العلم يحتاج إلى تجميع مصادره من كل مكان.والسفر لأجل العلم هو مهمة لا تقبل التأجيل، إذا كانت ظروف السفر ميسرة، والدعم المادي والمعنوي متاحاً، والإنسان يبقى قادراً على السفر من أجل أن يعود إلى وطنه مزوداً بالعلم والمعرفة والأفكار المفيدة.

وقد ألف العلماء، ونوه السادة الأجلاء، والحفاظ النجباء في كلامهم ووصاياهم لطلبة العلم، في فضل الرحلة ولقاء الشيوخ ومنافع ذلك للطالب وللعلم وللأمة ، وصنفوا في ذلك التصانيف المخصوصة،

كما فعل الخطيب البغدادي رحمه الله تعالى في كتابه "الرحلة في طلب الحديث"، ومن لم يخص ذلك بمؤلف ذكره في ثنايا كتبه. ومن طالع كتب التراجم والسير وجد من ذلك شيئا كثيرا، وجما غفيرا.

يقول أبو الفضل العباس بن محمّد الخراساني:

رحلت أطلب أصل العلم مجتهدا وزينة المرء في الدنيا الأحاديث

لا يطلب العلم إلا بازل ذكر وليس يبغضه إلا المخانيث

لا تعجبن بمال سوف تتركه فإنما هذه الدنيا مواريث [21]

وكذلك كانت الرحلة في طلب العلم معروفة مرغوبة فى عهد النبى ﷺ ، فكان من الناس من يفد إلى رسول الله ﷺ ليسمع القرآن الكريم ، ويتعرف على تعاليم الإسلام . بعد أن يعتنق الإسلام ، كان يرجع إلى قومه لترغيبهم إلى الإسلام.

فوائد الرحلة :

إذا أتينا للكلام عن فوائد الرحلة في طلب العلم فإن الرحلة في طلب العلم فيها فوائد كثيرة ، فإن الإنسان إذا رحل لطلب العلم فإنه يلاقي أهل العلم وعندهم معارف مختلفة فيأخذ عنهم من معارفهم، ويتحلى من فضائلهم وأخلاقهم؛ لأن العلم يتعلم بأمور، منها: الملاقاة، والمحاكاة والتلقين المباشر، فإذا لقي الشيوخ وجلس إليهم فاحتك بهم يصل إليه من خيرهم ويرسخ في نفسه مما ينطبع فيها من أخلاقهم وشمائلهم؛ فيكون هذا الرسوخ قوياً. وكذلك فإن العلماء قد رحلوا وقرءوا واستفادوا، فالإنسان إذا لقيهم وجلس إليهم يأخذ عنهم فوائد ربما لا يحصلها في الكتب سنين طويلة، أي: ربما تأخذ فائدة عن عالم لو جلست تبحث الكتب سنين ربما لا تجدها، لكن هو قد سبقك إليها وقرأ الكتب قبلك وحازها، فهو يعطيك نتائج سنوات طويلة من البحث، ويهبك بالمجان فوائد وفرائد قد لا تقع عليها في الكتب إذا قرأت، فلذلك فيها اختصار للأوقات، وفيها الحصول على كنوز وفرائد.

وكذلك فإن عندهم ضوابط وتحذيرات وفوائد علمية تجل عن الحصر، ولا شك أن العلم الذي يؤخذ بصعوبة لا يفلت بسهولة، وهذا مجرب، فالإنسان إذا سافر ورحل وصرف المال ليلقى شيخاً يسمع منه ويأخذ منه فائدة يصعب أن تنسى هذه الفائدة، لكن الشيء الذي يؤخذ في البيت وتحت المكيفات بدون تعب من الصحف قد ينسى بسرعة؛ لأنه لم يتعب في تحصيله، فالمعلومات التي يتعب الإنسان في تحصيلها لا تنسى بسهولة، وهذه فائدة مهمة من فوائد الرحلة في طلب العلم .

ومن فوائد الرحلة في طلب العلم نذكر منها :

1. تحصيلهم للعلم ، وتمكنهم من الجوانب العلمية.
2. تطبيقهم وعملهم بما علموا ، ليصبحوا عالمين عاملين .

3. نشرهم لما تعلموه من العلم في رحلاتهم .
4. واتساعهم في الثقافة العامة ، وذلك من خلال احتكاكهم بالناس أثناء رحلاتهم ، ومعرفة ما لديهم من حكم وأمثال ونوادر ، وما شابه ذلك.

الرحلة تساعدنا على معرفة الثقافات الحية ، وإستكشاف المجهول ورؤية الغيب. السفر يوسع نظرتنا أيضًا ،فهو يجعلنا متواضعين. يتعلم الناس الإعجاب بالآخرين أثناء السفر. نجد أنه يمكن أن تكون هناك طرق مختلفة لحل المشكلات. نتعلم أنه عندما يستطيع الناس العيش في مثل هذه الظروف القاسية بسعادة ، فلماذا لا يمكننا ذلك ؛ عندما نمنح العديد من المرافق ولدينا مثل هذه البيئة المريحة. أستطيع أن أتذكر مرة واحدة عندما كنت أسافر إلى ليه ، الهند ؛ لقد وجدت التأقلم صعبًا للغاية ، فقد إستغرق الأمر يومين ، لكن من ناحية أخرى ،إستمر ضباط القوات الجوية والجيش في السفر إلى ليه وعملوا هناك بسعادة مع أسرهم.علاوة على ذلك ، يعزز السفر معرفتنا ، ويساعد في توليد أفكار جديدة. إنه يكسر رتابة الحياة. إنه يساعد في ترك الشرارة فينا حية. يجعلنا أذكياء ومعتمدين على الذات.من خلال السفر يمكن للمرء أن يجمع الحكمة والخبرة التي يمكن مشاركتها مرارًا وتكرارًا مع أحفادنا. إستمر في مشاركة خبراتي في السفر مع طلابي الذين يفرحون من خلال جلسات المنهج الدراسي التي تنقل التعلم فيهم.من السفر نتعلم كيف نحصل على مساحة صغيرة في مثل هذا العالم الكبير. نتعرف على هدايا الطبيعة الأم. نتعرف على أنواع مختلفة من التربة والغابات والنباتات والحيوانات والعمارة والتماثيل والآثار والمناظر والمناخ والبيئة والتاريخ والموسيقى والفن والتكنولوجيا واللغات وغير ذلك الكثير أثناء السفر.من الواضح أن السفر ممتع. إنها هواية نابضة بالحياة ، لكنها تلعب دورًا مهمًا في التعليم أيضًا. هذا هو سبب قيام المدارس والكليات والمعاهد التعليمية بترتيب الجولات والرحلات. ومن ثم ، يجب على المرء أن يستمر في السفر وأن يبقي عقولنا مفتوحة على مصراعيها أثناء الجولات حتى نتمكن من التعلم.في تقاليدنا المجيدة الرائعة , السفر من أجل التعلم و المعرفة حقيقة معروفة ومثبتة للغاية. من خلال دراسة الأحوال والآثار المحدثين والفقهاء والصوفية والمفسرين ، يتضح أن رحلة للاكتساب العلم والمعرفة وتحمل صعوباتها كانت مشتركة بين الجميع. ما أجمل قاله رجل حكيم " العالم كتاب ، وأولئك الذين لا يسافرون يقرؤون فقط صفحة واحدة ".

أثر الرحلة في تنمية العلوم :

وقد تكون الرحلة هواية ، تشبع حاجة في نفس الإنسان وترضيه ، وقد تكون الرحلة احترافا يخدم حاجة الإنسان ويشبعه ، ولكنها تكون في الحالتين استجابة مباشرة الحوافز ودوافع محدودة تدعو بكل الإلحاح للحركة والانتقال من مكان إلى مكان آخر.

بمعنى من شأن دوافع معينة أن تدعو الإنسان الفرد أو الجماعة دعوة صريحة وملحة ، لكي يخترق حاجز المسافة ، و لكي يتحمل مشقة السفر ومتاعب الاغتراب وصولا إلى غاية مباشرة وهي تنمية علومه ومعارفه. ولقد أشار " ابن خلدون " إلى فضل الرحلة في طلب العلم فقال : " أن الرحلة في طلب العلوم ولقاء المشيخة مزيد كمال في التعلم ." [22]

للرحلة فضل في نماء العلوم واتساع دائرتها ، وكم من كتاب يمد في علمه من أمهات الكتب هو وليد الرحلة، ومن فضل الرحلة أنها حفظت جانبا عظيما من التاريخ ، حفظته الكتب التي يودعها مؤلفوها ما شاهدوه في أسفارهم من وقائع وأحوال. فالرحلات منابع ثرية المختلف العلوم.

فكان الرحيل من أجل طلب العلم ، وشوقا لتلقي المعرفة ، وأصبحت الرحلة مقياسا لمكانة الساعي لطلب العلم ، حتى أطلق النقاد والمؤرخون عليهم عبارات المدح فقالوا : " ارتحل وهو ابن خمس عشرة ، أو ابن عشرين " أو رحل وتعب ، له رحلة واسعة أكثر الترحال ، له العناية التامة بطلب العلم ، وغيرها من عبارات المدح والثناء ، بل ساقوا في شأن الرحلة وصاحبها الأمثال ، فقالوا : تضرب إليه أباط المطي ، أو أكباد المطي ، رحل الناس إليه ، كما أطلقوا عليهم ألقابا متعددة منها " الرحال ، الرحالة ، والجوال أو طواف. إن الرحلة في طلب العلم رغم صعوبتها وقسوة ظروفها تشعر صاحبها بالمتعة النفسية ويستطلع أحوال البلاد والمناهل والمنازل ، ومشاهدة عجائب البلدان واختلاف الألسن والمأكل والمشرب ، وما يحصل عليه من رياضة ذهنية وبدنية.

نبذة عن حياة الدكتور السيد رضوان علي الندوي :

مولده ونشأته:

ولد الدكتور السيد رضوان علي الندوي بن السيد راحت علي بمدينة رام بور11، منطقة أُتربرديش في إقليم بنجاب في الهند ، في عام 1928م في أسرة معروفة متدينة متصوّفة. كان جده الأمجد السيد جلال الدين بخاري (المتوفّٰى 1384هـ) بإسم شهير "مخدوم جهانيان جهاں كشت" وله مكانة مرقومة متميّزة في سلسلة التصوّف سُهروردية.

دراسته:

إنه تلقى الدراسة الإبتدائية في رام بور ، ثم إنتقل إلى لاهور و حاز بشهادة "منشي فاضل" بجامعة بنجاب في عام 1945م ، ودرس اللغة العربية في المعهد الشهير "إداره تعليمات إسلام لكنؤ" في عام 1948م وكان هذا المعهد يعمل تحت الإشراف لفضيلة الشيخ ابي الحسن علي الندوي و فضيلة الشيخ عبد السلام قِدوائي الندوي . وبعد ذلك إنتقل إلى دار العلوم ندوة العلماء بلكنو، فتخرّج فيها

حائزا على شهادة العالمية في عام 1950م ثم بعد ذلك شدّ الرحال إلى جامعة دمشق بكلية الشريعة ونال شهادة الماجستير بعنوان رسالة البحث "السطان العلماء الإمام العز الدين بن عبد السلام : عصره وحياته" ثم إلتحق بجامعة كيمبرج (بريطانيا العظمىٰ) في عام 1960م فتخرّج فيها حاملاً بشهادة الدكتوراه في الدراسات الإسلامية تحت الإشراف المستشرق الشهير آرثر جان آربري .

أساتذته:

وقد استقى الدكتور رضوان الندوي العلوم من الأساتذة الكبار في أيامه من أمثال ؛ العلامة عبد السلام قِدوائي الندوي والعلامة أبي الحسن علي الحسني الندوي والمحدّث الجليل شاه حليم عطا سلوني والدكتور مصطفٰى السّباعي والدكتور يوسف العُش والدكتور صبحي بن إبراهيم الصالح والدكتور معروف الدواليبي والعلامة مصطفٰى الزّرقاء.

في مجال التدريس :

مارس الدكتور رضوان الندوي في مجال التدريس في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض وجامعة بن غازي (ليبيا) وجامعة كراتشي (باكستان) كأستاذ للأدب العربي والدراسات الدينية . وبذلك تكون مدة تدريسه أكثر من أربعين سنة.

آثاره في العربية :

وأنتج الدكتور رضوان الندوي بهذه الثروة الضخمة و التجارب المحكمة خلال مسيراته العلمية مؤلفات علمية قيمة تزدان بها المكتبة الإسلامية، و من أعماله المشهورة :

١- العِز الدين بن عبد السّلام : عصره وحياته (رسالة الماجستير)
٢- فوائد في مشكل القرآن لسلطان العلماء العز بن عبد السلام (أطروحة الدكتوراه)
٣- إستنبول وحضارة الإمبراطورية العثمانية (الترجمة العربية لكتاب المستشرق الشهير برنارد لويس)
٤- السلطان محمد الفاتح بطل الفتح الإسلامي في أووربا الشرقية
٥- العلوم والفنون عند العرب
٦- اللّغة العربية و آدابها في شبه القارة الهندية الباكستانية عبر القرون
٧- مع طه حسين في مصر
٨- البيروني و منهجه في البحث التاريخي
٩- في منزل الوحي لمحمد حسين هيكل ومكانته في أدب الرحلات إلى الحرمين
١٠- مولانا ظفر علي خان و الملك عبدالعزيز

وفاته و تدفينه :

إستأثرت رحمة الله تعالى بالأستاذ الدكتور السّيد رضوان علي الندوي يوم الثلاثاء الموافق 5 يوليو 2016م ، وقد تم تدفينه فى مقابر ديفنس كراتشي يوم العيد الفطر بالضبط.[23]

أسباب الرحلة لدى الدكتور السّيد رضوان علي الندوي :

وإذا كنا نبحث عن أسباب الرحلة لدى الدكتور رضوان علي الندوي فإن طلب العلم كان من الأسباب الرئيسة التي دفعته للرحلة خارج وداخل شبه القارة ، كما كانت رحلة الحج رحلة تاق إليها قلبه منذ صغره كما سيتضح لنا بعد ذلك ، وإذا كان قد ارتحل لأداء مهمة عمل بجامعة أو مؤسسة فإنه حول هذه المهمة إلى هدفه الأساسي وهو الدعوة إلى دين الله ، وهذا واضح من خلال الكتب التي صدرت بعد فترة الرحلة التي كان هدفها الظاهري عمل ما أو القيام بمهام علمية هنا أو هناك ، فلم تكن للرحلة الشخصية التي يقوم بها الشخص حباً منه في السفر والارتحال ، ورغبة منه في التمتع بالحياة؛ مجال في حياته. فهو يسافر لهدف ويسافر لغاية وإلا فالأعمال في موطنه تحتاج إليه دائماً .

رحلة إلى الحجاز وسعادة الحج (1950م)

لقد كانت هذه الرحلة في مرافقة الشيخ عبد القادر الرائي بوري ، فقد سافر الدكتور رضوان الندوي بالباخرة الإسلامية في سبتمبر عام 1950 م من بمبئي (الهند) ، وكان معه في هذه الرحلة الفاضلين الندويين السابقين ، مكثوا في الحجاز بعد الحج ، ويشتغلوا بعمل الدعوة والتذكير في العرب. وقد ذهب مولانا أبو الحسن علي الندوي مع رفقائه وتلاميذه بمشورة مركز نظام الدين دلهي بالهند ودعم ندوة العلماء لكنو، وأمضوا هناك أكثر من سنة في مصر و سوريا و في أثناء ذهابهم إلى السودان وغيرها، ثم عادوا إلى الحجاز و بذلك حصل سعادة الحج مرتين. ومن الرفقاء الذين بقوا في الحجاز المقدس مولانا سيد محمد رابع الندوي، ومولانا محمد طاهر منصور بوري الندوي، و الدكتور عبد الله عباس الندوي ، و الدكتور سيد رضوان علي الندوي. قضى الدكتور الندوي ما يزيد قليلاً عن ثلاث سنوات في الحجاز المقدس للإستفادة و الدعوة من كبار أهل العلم والأدب و رجال الفكر و الدعوة. وقام خلال فترة إقامته بالترتيب للنشر والطباعة كتب أستاذه المعظم السيد أبي الحسن علي الندوي ، كما رتّب لنشر المقالات في مجلة "الحج" الّتي كانت تصدر من المكة المكرمة.

و كان من شرف له أيضاً أنّ مولانا علي مياں الندوي كان يرسل الرسائل والمكتوبات وما إلى ذلك لأعلام البارزة هناك بوساطة الدكتور رضوان علي الندوي. وقد تشرف بالمصاحبة والاستفادة خلال إقامته في الحجاز المقدس من العلماء الكبار في أيامه من أمثال ؛ إمام الحرم المكي الشيخ عبد المهيمن

المصري والشيخ عبد الرزاق حمزة والعلامة سيد علوي المالكي وإمام الحرم المدني العلامة أمين الشنقيطي والشيخ حسن مشاط .[24]

رحلة إلى مصر : (1953–1955م)

كانت أولى زيارات الدكتور رضوان الندوي لمصر في سنة 1953م من جدة الى ميناء السويس عن طريق البحر، ثم الى القاهرة مباشرة، وبعد ذلك تتابع زياراته لها في سنوات مختلفة متباعدة في طريقي من لندن الى الرياض، أو من بنغازى (ليبيا) الى كراتشي عن طريق الجو، أو بواسطة السيارة من بنغازى إلى الإسكندرية ثم القاهرة.

وزيارته تلك أهمية من ناحية أخرى ، وهي أن الكثير من رواد النهضة العلمية والأدبية وقادة الحركات الاسلامية بمصر في القرن العشرين كانوا أحياء آنذاك ، فسعد بزيارة البارزين منهم، والاستماع اليهم، والحديث معهم، ومن بينهم صالح حرب باشا رئيس جمعيت الشبّان المسلمين، والأمير محمد الخطابي أخو الأمير عبد الكريم الخطابي القائد المناضل لثورة الريف بمراكش، ومحمد البشير الابراهيمي الجزائري ، والحاج أمين الحسيني مفتى فلسطين وكان هؤلاء الثلاثة من ضيوف مصر من اللاجئين ، ومرشد الإخوان حسن الهضيبي بعد الإمام الشهيد حسن البناء، ومحمد علي الطاهر صاحب جريدة الشورى المعروفة في العالمين العربي والإسلامي، ومن العلماء والأدباء الشيخ عبد الرحمن البنا (والد الشيخ حسن البنا المرشد العام للإخوان المسلمين الأول محقق مسند الامام أحمد بن حنبل، والمحقق الكبير العلامة الأستاذ محمود محمد شاكر، والأستاذ محب الدين الخطيب صاحب ومدير مجلة "الفتح" الشهيرة لسنوات طويلة ، والدكتور أحمد أمين صاحب سلسلة فجر الإسلام ، وضحى الإسلام و ظهر الإسلام ، في تاريخ الثقافة الاسلامية)، وفيض الخاطر وغيرها من عشرات الكتب الأدبية والعلمية ، وصاحب مدير مجلة الثقافة التي كانت في ذاتها مدرسة أدبية هامة في العالم العربي كله ، والأستاذ أحمد حسن الزيات صاحب ومدير مجلة "الرسالة" التي كانت مدرسة أدبية وعلمية ثانية في العالم العربي كله بجانب مجلة الثقافة الآنف الذكر، والأديب القصصي الشهير توفيق الحكيم، والأديب الاسلامي الفذ والداعية الكبير الشهيد سيد قطب، وعميد الأدب العربي الدكتور طه حسين.

لقد كانت هذه الإقامة بمصر مفيدة ممتعة من النواحي الدعوية والعلمية والفكرية والأدبية ، وكانت هذه الفترة حين كانت مصر على أصالتها وصورتها الحقيقية التي امتد بها الزمن وتسلسلت مع العصور والأجيال ، وكانت فيها حرية إبداء الرأي والصحافة والخطابة ، وقد بلغ العلم والأدب والصحافة أوجها ، وكانت الأحزاب السياسية تتمتع بالحرية ، وكانت فيها عقليات تمثل الأجيال الماضية خير تمثيل ، كما كان فيها صنائع التعليم القديم والجديد ، والمتخرجون في مدارسها. وكانت من الجماعات والمنظمات

العاملة النشيطة ، الإخوان المسلمون ، وشباب سيدنا محمد ، وجمعية الشبان المسلمين ، ومصر الفتاة ، وجمعية أنصار السنة المحمدية ، والجمعية الشرعية ، وجمعية العشيرة المحمدية ، وجمعية مكارم الأخلاق ، وكانت من المجلات السائدة في أوساط الشباب والمثقفين مجلة "الثقافة" للدكتور أحمد أمين ومجلة "الرسالة" لأحمد حسن الزيات ، وقد كانت لهما مدرستان أدبيتان مستقلتان ، وكانت لهما الكلمة النافذة والرأي المسموع .

لقاء مع طه حسين :

كان للدكتور رضوان الندوي شرف كبير لقاء الدكتور طه حسين . وقد كتب تفاصيل هذا اللقاء بطريقة مثيرة للاهتمام في مقالته بعنوان " مع طه حسين في مصر " . وقد عبّر عن أفكاره وانطباعاته عن الدكتور طه حسين بهذه الكلمات بأسلوب رائع :

"وأبادر فأقول إن طه حسين على الرغم من شهرته الواسعة من الشخصيات المصرية التي كثر الجدل حوله بين انصاره وخصومه ، وأصحاب الفكرة الإسلامية بصفة عامة كرهوه او لم يحبوه لأسباب فكرية ودينية معروفة ، بينما عامة المثقفين في مصر وغير مصر قدروها عظيم التقدير ، وأعجبوا به أيما إعجاب ، وأشادوا به كثيرا ، وترجم كتابه "الأيام" عن سيرته الذاتية فى معظم لغات العالم ، وكان مرشّحا لجائزة نوبل العالميه في الآداب ، ولكن حالت الأوضاع السياسيه في عهد جمال عبدالناصر بمصر دون ذلك ، وناله مؤخرا من هو دونه بكثير. وإحقاقا للحق أقول أنني سمعت قبل موته بسنتين أو ثلاث إلى برنامج إذاعى مصرى عنه - والذى كان عبارة عن مقابلة اذاعية اجرته معه المذيعة المصرية المشهورة ليلى رستم في أواخر السبعينيات ، وقد سمعته و أنا في (الجامعة) بن غازي (ليبيا) ، وأهم ما أذكر منها أن هذه المذيعة سالته – حينما لاحظت عدم وجود التلفزيون في غرفة جلوسه – " ألا يستمع الدكتور طه حسين إلى برامج التلفزيون ؟ " فكان رده عليها انهلا يرى حاجة إلى التلفزيون في البيت ، وحتّى الراديو لا يسمع منها إلا إذاعة القرآن من محطة الإذاعة المصرية للقرآن الكريم. هذا وبعض مؤلفاته في سنوات عمره الأخيرة كمرآة الاسلام وغيره تؤيد أنه كان قد أقلع عن افكاره الغربية العلمانية القديمة ، ولعل حسن اسلامه، ومن يدري لعله تاب في قرارة نفسه عما كان قد صدر عن قديما في بعض كتب و مقالاته ، مثل " مستقبل الثقافة في مصر" و" في الشعر الجاهلي" وعادت إليه سلامة عقيدته، وجانب فكره، والذي غرست بذوره الأولى خلال دراسته بالأزهر في صغره و أول شبابه، ونرى من حولنا، وفي تاريخنا المعاصر ،كثيرين كانوا قد انحرفوا عن جادة الصواب والعقيدة الصحيحة في اول حياتهم ثم عادوا إلى رشدهم ،فتابوا وتاب الله عليهم ، إنه هو التواب الرحيم." [25]

ذكر الأستاذ الندوي في مقالته سؤالًا مثيرًا للإهتمام طرحه أحد الأشخاص الجالسين بجوار الدكتور طه حسين ،كان هذا السؤال مرتبطًا بإدخال اللغة العربية كلغة رسمية في باكستان.

" وسألني أحد الحضور من الأساتذة لما ذا يتخذ باكستان اللغة العربية لغة رسمية له، فذكرت له صعوبة ذلك من الناحية العلمية واستحالته ووافقني طه حسين على ذلك ، و اعتبر مثل هذا الفكر من الأفكار غير المنطقية ، وقرأ الآية الكريمة من سورة الروم :

ومن ايته خلق السّمٰوٰت و الأرض و اختلاف ألسنتكم و ألوانكم إن في ذلك لايت لّلعلمين." [26]

لاحظ الدكتور الندوي بشيء من الاستعجاب وهو تقيد طه حسين بالوقت في كلمته بدقة بالغة ، وهو كفيف البصر، لا يستطيع أن ينظر في الساعة. وفيما ذكر أن كانت مدة كلمته محددة بعشرين دقيقة، وقد أنهى كلمته في تلك الدقائق العشرين دون أن يأخذ دقيقة واحدة أكثر من وقته المحدد.

زيارة جامعة القاهرة :

وعن زيارة جامعة القاهرة يقول الدكتور الندوي :

"وانتهزت هذه الفرهة، وأبديت له رغبتي في زيارة جامعة القاهرة وبعض كلياتها للاتصال ببعض أساتذتها، وكانت مقفولة بسبب المظاهرات التي جرت فيها اثر اجتماع طلابي عام نظمه الاخوان المسلمون في ساحة الجامعة الكبيرة وخطب فيها الأخ حسن دوح رئيس منظمة الطلاب الاخوانية بالجامعة (وكان ياسر عرفات رئيس الحكومة الفلسطينية في المنفى حاليا زميله في الدراسة والنشاط السياسي) منددا برجال الثورة ، ومفاوضاتهم المريبة مع البريطانيين بشأن الجلاء لقواتها من منطقة السويس على شروط غير مرضية العامة الشعب المصرى وبخاصة الاخوان المسلمين الذين كانوا يعتبرون أنفسهم طرفا في الموضوع، لأنهم كانوا على رأس المقاومة السرية ويشنون حرب عصابات ضد القوات البريطانية في تلك المنطقة منذ سنوات قبل قيام الثورة، وضحى كثير من شبابهم أرواحهم أثناء تلك المقاومة ، وتعرضوا للاعتقالات والعقوبات من حكومة الملك فاروق السابق ، ولأجل ذلك كانوا يطالبون بمشاركتهم في تلك المفاوضات حتى يتم الجلاء على أحسن شروط . وحكومة الثورة لم تكن راضية بذلك، لأنها قلبت لهم ظهر المجن بعد نجاحها بمساعدة بعض كبار ضباط الاخوان المسلمين في الجيش." [27]

رحلة إلى دمشق : (1956–1960م)

في عام ديسمبر 1955م حصل الدكتور الندوي على القبول في الجامعة بكلية الشريعة بدمشق. ساعده في الإلتحاق بالجامعة العلامة السيد ابو الحسن علي الندوي. كان موضوع البحث "السطان العلماء الإمام العز بن عبد السلام : عصره وحياته" وكان كتابه الأول من نوعه الذي كتب باللغة العربية.

وقد استقى الدكتور الندوي العلوم من الأساتذة الكبار في أيامه من أمثال ؛ الدكتور مصطفٰى السباعي ، الدكتور معروف الدواليبي ، الدكتور زكي شعبان ، الدكتور يوسف العُش ، الدكتور صالح الأشتر، العلامة مصطفى الزرقاء ،العلامة صبحي سالم ، والعلامة محمد المبارك مما ساهم في تنمية شخصيته و إثرائها العلم و الأخلاق ، قديما قيل :" من تربى بين الأسود يصبح أسدا ".كانت هذه المدة أربع سنوات حتّى إكمال شهادة الماجستير.

وكانت الإقامة في دمشق مفيدة جداً من عدة جوانب، فقد اكتسب الصحة البدنية والقوة من المناخ هناك، كما حصل على التغذية الروحية من نور وبركات الجو كما قيل عن أرض سوريا وفلسطين ونواحيها "الذي باركنا حوله" ، في ذلك الوقت استفاد الشخصية الروحانية الكبيرة الشيخ أحمد الحارون العسل الحجار من المجالس المباركة والمستنيرة. ومن الجدير بالذكر أنه حظي في دمشق بالرعاية الكبرى من شخصية العالم الكبير والداعي الشهير الدكتور سعيد رمضان المصري (صهر الإمام حسن البنا الشهيد) الذي كانت تربطه علاقة غير عادية بحضرة السيد أبي الحسن علي الندوي وبدأ الدكتور سعيد رمضان بإصدار مجلة "المسلمون" من دمشق نشرت فيها مقالات وبحوث السيد أبي الحسن علي الندوي. وهكذا حصل على الفرصة النادرة ليكون وسيلة التواصل بين هاتين الشخصيتين وللإستفادة منهما.

رحلة إلى فرنسا : (1960م)

وبعد دمشق غادر إلى باريس التي كانت في ذلك الوقت مركزاً للفنون والعلوم والمؤسسات الأكاديمية والمكتبات الرئيسية القديمة. كان الهدف الرئيسي للذهاب إلى باريس مع مشاهدة المعالم السياحية هو أن يعيش هناك العالم الكبير والباحث الدقيق الدكتور محمد حميد الله (المتوفّى 2002م).

لقاء مع الدكتور محمد حميد الله حيدر آبادي :

كان أحد الأغراض الرئيسية لإقامة الدكتور رضوان في باريس ، ما عدا السياحة هو لقاء العالم والمؤلف والباحث الشهير الأستاذ الدكتور محمد حميد الله . قرأ الدكتور رضوان بعض كتبه باللغة الأردية ، ثم قرأ عددًا كبيرًا من كتبه باللغة الأردية خلال إقامته في مكة. درس كتابه الشهير"الوثائق السياسيّة في العهد النبوى ﷺ " على يد أستاذه اللبناني الدكتور صبحي الصالح خلال إقامته في دمشق في قسم الأدب العربي بجامعة دمشق ولقد كان متشوقًا جدًا لزيارة الدكتور محمد حميد الله. ولذلك حاول أولاً الإتصال به في محطة القطار عندما نزل من القطار.

وقد صف اللقاء الأول مع الدكتور محمد حميد الله بأسلوبه الرائع وأبدى انطباعاته عن شخصية هكذا :

" ذهبت إلى الطابق الرابع في المبنى الحجري القديم والقوي ، وقرعت جرس باب شقته فخرج بنفسه، قدمت نفسي أدخلوني غرفة الجلوس في الشقة الصغيرة كانت مليئة بالكتب، وهناك كانت امرأة فرنسية تبلغ من العمر حوالي أربعين عامًا وتتعلم كتابًا فارسيًا من الدكتور، كانت الساعة حوالي الخامسة.لقد فوجئت جدًا برؤيته لأنه كان مشهوراً جداً في الأوساط الأكاديمية ، لم أر أي صورته، على الرغم إكتشفت أنه مخالف جدًا للصورة الكاميرا، ولكن علمه وفضله راسخ في ذهني وقلبي. وكان هناك تصور لشخصيته الموهبة بسبب الشهرة، ولكن عندما فتح الباب وجدت شخصًا رشيقًا ومتواضعًا جداً، بدا وكأنه طالب مختلف تمامًا عن الأستاذ والكاتب الشهير. وكانت هذه هي المفاجأة الكبرى في حياتي، وقد ذكرتها مرة أخرى في رسالة إلى أستاذي السيد أبي الحسن علي الندوي من كامبريدج، وأكّد أن شخصية الدكتور حميد الله مجسّم "طلب العلم من المهد إلى اللّحد." [28]

وقد كتب الدكتور رضوان أحوال زيارة المكتبة الوطنية في باريس في مرافقة الدكتور محمد حميد الله هكذا :

" في البداية أطلعني الدكتور حميد الله على المكتبة الوطنية الكبرى في باريس ، الشهيرة في العالم بكنوزها العلمية والتي كانت مركزًا لدراسة البحثية الدكتور حميد الله. ولم يُسمح إلا الدكاترة وأساتذة الجامعة بالدخول إلى هذا القسم للمكتبة أو ربما قاعة قراءة الآثار والمخطوطات التابعة لها، ولهذا كان لا بد من ملء إستمارة، ملأها الدكتور بالفرنسية وكتب لي أستاذ ونيابة عنه، كما تم التأكيد على ذلك لقد طلب مني التوقيع فقط، بعد أن تمكنت من دخول هذا القسم من المكتبة، كان الأمر كما لو كان هذا بمثابة حظ سعيد بالنسبة لي من هذا الرجل الدرويش لأنه بعد ثلاث سنوات بالضبط من حصلت على شهادة الدكتوراه من كامبريدج. وبعد التخرّج حصلت على وظيفة الأستاذ في جامعة الملك سعود بالرياض. أطلعني الدكتور حميد الله على بعض الكتب العربية في قاعة القراءة الفسيحة ، لا أتذكر شيئاً الآن ، لكني رأيت المراجع في كل مكان على الرفوف، كنت أرى مكتبة العالمية الكبيرة لأوّل مرة، قبل ذلك في القاهرة، ودار الكتاب المصرية، ومكتبة جامعة القاهرة، ومكتبة المكتب الظاهر بدمشق، كانت صغيرة جداً مقارنة بذلك، وكنت معجباً جداً وفخوراً بالمكتبة الوطنية بباريس، فقد كان الدكتور حميدالله الذي أرشدني. كنت أستطيع رؤيته، وإلا لكان الأمر مستحيلاً بالنسبة لي في ذلك الوقت."[29]

رحلة إلى البريطانيا العظمى : (1960–1963م)

بعد تخرج الدكتور رضوان الندوي من جامعة دمشق في يونيو 1959م تم قبوله في جامعة كامبريدج للحصول على الدكتوراه. وقد وصل إلى لندن عبر الطريق بالسيارة. بعد قضاء يوم في النزهة والالتقاء بالصديقه المصري عز الدين إبراهيم (المستشار الثقافي حاليا السلطان زايد آل نهيان أبو ظبي) ذهب الدكتور رضوان في ذلك اليوم إلى قسم المخطوطات بالمتحف البريطاني لرؤية مخطوطة تفسير القرآن

الكريم للعز بن عبد السلام ، كان عليه أن يقوم بكتابة الرسالة الدكتوراه باللغة الإنجليزية عن حياة مؤلفها. وقد تم هذا العمل بمساعدة من السيد محمد ميان ، لم يكن من السهل علي التنقل في لندن ، لذلك قام بالتحضيرات الأولية وفي اليوم الثالث من وصوله إلى لندن غادرت بالقطار إلى وجهته كامبريدج و ربما وصل إلى كامبريدج في دقائق معدودة، ربما كان ذلك يوم 13سبتمبر 1960م ، والآن بدأت المرحلة الثالثة من دراسته في الخارج، وكان قد وصل إلى هناك من قبل. وفقًا لنظام كامبريدج التعليمي، كانت الكلية التي حصل على القبول فيها تسمى Fitzwilliam House ، الصورة الجماعية التي تم التقاطها للوافدين الجدد في كل كلية، والتي تشمل طلاب المرحلة الجامعية وطلاب الدراسات العليا، تشمل أيضًا جاويد ظفر الأخ الأصغر من العمّال السند السابق كمال الدين ظفر الموجود هناك. كان طالبًا بمرتبة الشرف، وأصبح صديقًا له فيما بعد، ولسوء الحظ عندما عاد إلى باكستان بشكل دائم ، كان قد وافته المنية عن هذا العالم الفاني. ثم بعد ذلك بدأت المرحلة الثالثة من تعليمه ، وكان من المفترض أن يبدأ العام الدراسي الجامعي في الأول من أكتوبر، لكن وصل مبكرًا بأسبوعين لاستكمال بعض إجراءات القبول وفقًا لنظام كامبريدج التعليمي.

لقاء مع المستشرق الشهير الأستاذ آرثر جان آربري :

وقد صف اللقاء الأول مع آرثر جان آربري بأسلوبه الرائع وأبدى انطباعاته عن شخصية هكذا ؛

" وفي اليوم التالي التقيت بالأستاذ آرثر جان آربري في مكتبه بكلية بمبروك (Pembroke College) وقد انطبعت أخلاق الأستاذ الإنكليزي الصوفي هذا من أعماق قلبي، حيث كنت أتساءل عن مبنى الكلية ووجدت الدرج الصغير المؤدي إلى الطابق العلوي. لقد رآني الأستاذ من نافذة الطابق، وقد أخذت موعدًا عبر الهاتف. وقال لي بنفسه أ أنت السيد علي؟ فقلت نعم ! يا سيدي ! ثم ذهبت معه ، حيث أنني قد أعددت مقالتي بشكل جيد، وكان لهذا اللقاء الأول تأثير كبير عليه، فقد كان هو نفسه قد قام ببعض التحضير للبحث العلمي، وأعطاني نسخة من أحد المقالات الذي كتب المؤلف في مكتبة تشيستربيتي (Chestrbeatty) وقال لي عنوان المخطوط أيضا في دبلن (أيرلندا)، التي لم أكن أعرفها من قبل." [30]

وكان السيد رضوان قد عمل سابقاً في موضوع البحث باللغة العربية فلهذا تم منحه إستثناء لمدة عام واحد وأكمل شهادة الدكتوراه في عامين بدلاً من ثلاث سنوات. وقد استفاد من خلال إقامته بلندن من مكتبة المتحف البريطاني ومكتبة انديا آفس. بعد ما حصل الشهادة الدكتوراه إنشغل بتدريس العلوم الإسلامية و خاصة مادة التاريخ ، والحضارة الإسلامية في جامعات مختلفة لمدة أربع وعشرين سنة. وقد قضى الدكتور الندوي أربعة وعشرين عامًا في التدريس بعد هذه الرحلة التعليمية ، كما زار أوروبا وأمريكا

وشرق الأقصى عدة مرات. بدأت هذه الرحلة من مكة في عام 1950م و انتهت إلى حياة التدريس والسياحة في أغسطس1987م ، عندما استقال من جامعة الإمام محمد بن سعود بالرياض ورجع إلى باكستان، وهكذا تمتد مدة حياة سفره إلى 37 عامًا.

نتائج البحث :

1. وفي ختام بحثي أود أن أذكر بعض النتائج بمناسبة هذا البحث :

1. الرحلة عن الموطن في نظر الأديب المثقف ليست فقط وسيلة لإبتغاء الرزق أو اصطحاب الماجد أو قصد الملوك ، ولا هي وسيلة لطلب العلم والأدب المدون والمحفوظ فحسب، بل هي قبل هذا وذاك وسيلة للمشاهدة واكتشاف الجديد والاطلاع على المجهول والوصول إلى البعيد.
2. كان شخصية الدكتور رضوان الندوي علمية فذة ، وكاتبا قديرا عملاقا ، اثر في جيله وعصره تاثيرا عميقا واسعا في شتى المجالات العلم والفن والثقافة ، ودافع عن الاسلام عقيدة وحضارة.
3. كان الدكتور رضوان الندوي شدّ الرّحال إلى بُلدان البعيدة ، رغم كثرة العوائق والصعوبات ، مثل ؛ المملكة العربية السعودية ومصر وشام وفرنسا وبريطانيا العظمى في شغفه بالتعلم بمصاحبة من العلماء الكبار والباحثين المثقفين ، وفي هذا حافز كبير للطلاّب والباحثين المتحدثين.
4. اهتم الدكتور رضوان الندوي بتأصيل الوعي الإسلامي، وله مشاركات قيمة ومشهودة في العصر الحديث، ضمن جهود علماء باكستان في تطوير اللغة العربية وآدابها وعلومها.
5. قام بتمثيل الإسلام في المجتمعات الإسلامية والمجامع الأدبية بخلقه الرفيع ، وسلوكه الإسلامي القويم ، والإلتزام بالصفحات الحميدة. ودعا إلى الجمع بين القديم الصالح والجديد النافع مع التصلب في الاصول والغايات والتوسع في الفروع والآلات قام بالدكتور الندوي بتاليف الكتابات قيمة نافعة تتسم بالبحث والتحقيق والنظر والتدقيق ، وتنوء بالعصبة من العلماء والباحثين.

توصيات البحث :

أود أن أذكر بعض التوصيات بمناسبة هذا البحث :

1. يمكن أن يكتب البحث العلمي عن المسحة الأدبية في كتابات الدكتور رضوان علي الندوي .
2. يمكن أن يكتب الدراسة العلمية عن إسهاماته في تطوير اللغة العربية وآدابها في باكستان .
3. ينبغى للدارسين والباحثين ان يقوم احد منهم ويجمع اعمال الدكتور رضوان علي الندوي غير مطبوعة ويقدمها في صورة موسوعة علمية ضخمة ويلبسها لباس الطبع لكي لستفيد الاجيال القادمة من كنوزه العلمية المكنونة .

4. وكذلك ينبغي أن يصرف بعض الناس عنايتهم نحو جمع مقالاته وكتاباته العلمية المختلفة المنشورة في المجلات والجرائد وترتيبها حسب موضوعاتها ، مع تحقيقها، والتعليق عليها تعليقاً علمياً، فإن هذا سيكون خدمة علمية كبيرة .

الهوامش:

1) الأفريقي ، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور، لسان العرب، ج 11، ص 276
2) الأصفهاني، أبو الفرج ، الأغاني، ص 3/93 ، الأندلسي، ابن عبد ربه ، العقد الفريد، ص 2/320 المرزباني، أبو عبد الله بن محمد بن عمران ، الموشح في ماخذ العلماء علي الشعر ، ص 1/304، المصدر السابق ، ص 277
3) الأفريقي ، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور ، لسان العرب ص 278
4) نفس المرجع ، ص 278
5) نفس المرجع ، ص 278
6) نفس المرجع ، ص 279
7) الفيروز آبادى: مجدد الدين محمد بن يعقوب العلامة اللغوى : القاموس المحيط، ج 3، ص 1394، دار سعد الدين للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة: الأولى 1421هـ - 2000م
8) المصدر السابق ، ج 3، ص 395
9) شهاب الدين ياقوت الحموي : معجم البلدان ، دار صادر ، ج 2، (دط) ، 1977م ، بيروت لبنان ، ص 420
10) محمد مسعود جبران : فنون النثر الأدبي في آثار لسان الدين بن الخطيب ، المجلد 2، دار المدار الثقافية ، ط1، 2009م ، ص 7
11) فؤاد قنديل : أدب الرحلة في التراث العربي، مكتبة الدار العربية للكتاب ، ص 22
12) إسماعيل زردومي : فن الرحلة في الأدب المغربي القاسم ، أطروحة دكتوراه، جامعة الحاج لخضر ، باتنة الجزائر ، ص 12
13) فؤاد قنديل : أدب الرحلة في التراث العربي ، مكتبة الدار العربية للكتاب ، ص 22
14) محمد ود غيري : الرحلة وحرق صفاء النوع، مجلة صحة الأدبية ، ع 48، 1 مايو 2013م ، ص 27
15) حسين محمد فهيم : أدب الرحلات ، سلسلة عالم المعرفة ، (د- ط) ، 1989م، الكويت ، ص 15
16) شوقي ضيف : أدب الرحلات ، دار المعارف، ط 1 ، مصر - القاهرة ، ص 7
17) ملكة أبيض : سليمان العيسى وأدبه ، مجلة المعرفة ، ع 597، 1 يونيو 2013م ، ص27
18) محمد بن مرزوق التلمساني : المسند الصحيح الحسن في مأثر مولانا الحسن ، الشركة الوطنية الجزائرية ، 1981م ، ص 480
19) محمد بن إدريس الشافعي ، ديوان الشافعي ، تحقيق : زهدي يكن ، دار الثقافة بيروت ، لبنان ، 1961م ، ص 89
20) نفس المرجع ، ص 95
21) ابن ناصر الدين الدمشقي :كتاب " مجلس في حديث جابر " ، دار صادر ، 1977م ، بيروت لبنان ، ص 225
22) عبد الرحمن ابن خلدون ، مقدمة ابن خلدون ، ت : الدرويش ، دار يعرب ، 2004 ، ص 136

23) السيد محمود حسني الندوي : "الدكتور السيد رضوان علي الندوي" ، مجلة نصف شهرية " تعمير حيات " ندوة العلماء لكنؤ ، مجلد 53 ، سبتمبر 2016م ،

24) نفس المرجع ، ص 27

25) الدكتور السيد رضوان علي الندوي : " مع طه حسين فى مصر " ، مجلة شهرية "الدراسات الإسلامية" ، الجامعة الإسلامية العالمية اسلام آباد ، يناير 1990م ، ص 96

26) نفس المرجع ، ص 99

27) نفس المرجع ، ص 102

28) الدكتور السيد رضوان علي الندوي : كتاب "تحقيقات و تاثرات" ، مقالة بعنوان " من دمشق إلى كامبريدج "، 2004م ، ص 461

29) نفس المرجع ، ص 462

30) نفس المرجع ، ص 470